

بسم الله الرحمن الرحيم

البيعة لخليفة المسلمين

ح 2

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه وسار على دربه، واهتدى بهديه، واستن بسنته، ودعا بدعوته واقتفى أثره إلى يوم الدين، واجعلنا معهم واحشرنا في زمرتهم، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت إذا شئت جعلت الحزن سهلاً.

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

ربّ اشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي.

أحببتنا الكرام: مستمعي إذاعة المكتب الإعلامي لحزب التحرير، أحييكم بتحية الإسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد:

كنا قد تحدثنا في الحلقة السابقة أن البيعةُ لِخَلِيفَةٍ هِيَ بَيْدِ الْمُسْلِمِينَ، وَهِيَ حَقُّهُمْ، وَهُمْ الَّذِينَ يُبَايِعُونَ، وَيَبِيعَتُهُمْ هِيَ الَّتِي تَجْعَلُ الْخِلاَفَةَ تَنْعَقِدُ لِلْخَلِيفَةِ، وَالْخِلاَفَةُ عَقْدُ مُرَاضَاةٍ وَاخْتِيَارٍ لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ بِالطَّاعَةِ لِمَنْ لَهُ حَقُّ الطَّاعَةِ مِنْ وِلَايَةِ الْأَمْرِ، فَلَا بُدَّ فِيهَا مِنْ رِضَا مَنْ يُبَايِعُ لِيَتَوَلَّاهَا، وَرِضَا الْمُبَايِعِينَ لَهُ، وَلِهَذَا كَانَ لَا بُدَّ لِانْعِقَادِ الْخِلاَفَةِ مِنْ بَيْعَةِ الْمُسْلِمِينَ.

أَمَّا مَنْ هُمْ الَّذِينَ تَنْعَقِدُ الْخِلاَفَةَ بِبَيْعَتِهِمْ فَهَذَا مَا سَنَتَحَدَّثُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْحَلَقَةِ.

ولفهم هذه المسألة لا بد من استعراض ما حصل في بيعة الخلفاء الراشدين، وما أجمع عليه الصحابة.

ففي بيعة أبي بكر رضي الله عنه اكتنفي بأهل الحل والعقد من المسلمين الذين كانوا في المدينة وحدها، ولم يؤخذ رأي المسلمين في مكة، وفي سائر جزيرة العرب، بل لم يسألوا.

وكذلك الحال في بيعة عمر رضي الله عنه.

أَمَّا فِي بَيْعَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ أَخَذَ رَأْيَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى سُؤْلِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ كَمَا فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ عِنْدَ تَرْشِيحِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَفِي عَهْدِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ اِكْتَفَى بِبَيْعَةِ أَكْثَرِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِ الْكُوفَةِ، وَأَفْرَدَ هُوَ بِالْبَيْعَةِ، وَاعْتَبِرَتْ بِبَيْعَتِهِ حَتَّى عِنْدَ الَّذِينَ خَالَفُوهُ وَحَارَبُوهُ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يُبَايَعُوا غَيْرَهُ، وَلَمْ يَعْتَرِضُوا عَلَى بَيْعَتِهِ، وَإِنَّمَا طَالَبُوهُ بِدَمِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَدْ حَصَلَ كُلُّ ذَلِكَ - أَي بَيْعَةُ الْخَلِيفَةِ مِنْ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعَاصِمَةِ فَقَطْ دُونَ بَاقِي الْأَقَالِيمِ إِلَّا فِي مُبَايَعَةِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ شَارَكَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي مُبَايَعَتِهِ - حَصَلَ كُلُّ ذَلِكَ عَلَى مَرَأَى وَمَسْمَعٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مُخَالَفٌ فِي ذَلِكَ وَلَا مُنْكَرٌ لِهَذَا الْعَمَلِ مِنْ حَيْثُ اقْتِصَارُ الْبَيْعَةِ عَلَى أَكْثَرِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَكَانَ ذَلِكَ إِجْمَاعًا مِنَ الصَّحَابَةِ عَلَى أَنَّ الْخِلَافَةَ تَنْعَقِدُ مِمَّنْ يُمَثِّلُونَ رَأْيَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْحُكْمِ، لِأَنَّ أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَأَكْثَرَ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ كَانُوا هُمْ أَكْثَرِيَّةَ الْمُمَثِّلِينَ لِرَأْيِ الْأُمَّةِ فِي الْحُكْمِ فِي جَمِيعِ رُقْعَةِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ حِينَئِذٍ.

وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْخِلَافَةَ تَنْعَقِدُ إِذَا جَرَتْ الْبَيْعَةُ مِنْ أَكْثَرِ الْمُمَثِّلِينَ لِأَكْثَرِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِمَّنْ يَدْخُلُونَ تَحْتَ طَاعَةِ الْخَلِيفَةِ الَّذِي يُرَادُ انْتِخَابُ خَلِيفَةِ مَكَانِهِ كَمَا جَرَى الْحَالُ فِي عَهْدِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَتَكُونُ بَيْعَتُهُمْ حِينَئِذٍ بَيْعَةً عَقْدَ لِلْخِلَافَةِ، أَمَّا مَا عَدَاهُمْ فَإِنَّهُ بَعْدَ انْعِقَادِ الْخِلَافَةِ لِلْخَلِيفَةِ تُصْبِحُ بَيْعَتُهُ بَيْعَةَ طَاعَةِ أَي بَيْعَةِ انْقِيَادٍ لِلْخَلِيفَةِ، لَا بَيْعَةَ عَقْدَ لِلْخِلَافَةِ. هَذَا إِذَا كَانَ هُنَاكَ خَلِيفَةٌ مَاتَ أَوْ عَزَلَ وَيُرَادُ إِيجَادُ خَلِيفَةِ مَكَانِهِ.

أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ خَلِيفَةٌ مُطْلَقًا وَأَصْبَحَ فَرَضًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُقِيمُوا خَلِيفَةً لَهُمْ لِتَنْفِيزِ أَحْكَامِ الشَّرْعِ، وَحَمَلِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى الْعَالَمِ كَمَا هِيَ الْحَالُ مُنْذُ زَوَالِ دَوْلَةِ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي اسْطِنْبُولَ عَامَ أَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ وَتِسْعِمَائَةِ وَأَلْفِ مِيلَادِيَّةٍ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا، فَإِنَّ كُلَّ قَطْرٍ مِنَ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ أَهْلٌ لِأَنْ يُبَايِعَ خَلِيفَةً، وَتَنْعَقِدُ بِهِ الْخِلَافَةَ، فَإِذَا بَايَعَ قَطْرٌ مِمَّنْ هَذِهِ الْأَقْطَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ خَلِيفَةً، وَانْعَقَدَتِ الْخِلَافَةُ لَهُ، فَإِنَّهُ يُصْبِحُ فَرَضًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُبَايِعُوهُ بَيْعَةَ طَاعَةٍ، أَي بَيْعَةَ انْقِيَادٍ بَعْدَ أَنْ انْعَقَدَتِ الْخِلَافَةُ لَهُ بِبَيْعَةِ أَهْلِ قَطْرِهِ سِوَاءِ أَكَانَ هَذَا الْقَطْرُ كَبِيرًا كَمِصْرَ أَوْ تَرْكِيَا أَوْ إِنْدُونِيسِيَا أَمْ كَانَ صَغِيرًا كَالْأَرْدُنِّ أَوْ الْبَانِيَا أَوْ لِبْنَانَ عَلَى شَرْطِ أَنْ تَتَوَافَرَ فِيهِ أَرْبَعَةٌ أُمُورٍ هِيَ:

أولاً: أن يكون سلطان ذلك القطر سلطاناً ذاتياً يستند إلى المسلمين وحدهم لا إلى دولة كافرة أو نفوذ كافر.

ثانياً: أن يكون أمان المسلمين في ذلك القطر بأمان الإسلام، لا بأمان الكفر، أي أن تكون حمايته من الداخل والخارج حماية إسلام من قوة المسلمين باعتبارها قوة إسلامية بحتة.

ثالثاً: أن يبدأ حالاً بمباشرة تطبيق الإسلام كاملاً تطبيقاً انقلابياً شاملاً وأن يكون متلبساً بحمل الدعوة الإسلامية.

رابعاً: أن يكون الخليفة المبايع مستكماً شروط انعقاد الخلافة، وإن لم يكن مستوفياً شروط الأفضلية، لأن العبرة بشروط الانعقاد وهي سبعة شروط يجب أن تتوافر في الخليفة حتى يكون أهلاً للخلافة، وحتى تنعقد البيعة له بالخلافة.

أما ما هي شروط الانعقاد السبعة التي يجب أن تتوافر في الخليفة حتى يكون أهلاً للخلافة، وحتى تنعقد البيعة له بالخلافة فهي أن يكون الخليفة:

1. مسلماً.
2. ذكراً.
3. بالغاً.
4. عاقلاً.
5. عدلاً.
6. حراً.

7. قادراً على القيام بأعباء الخلافة.

فإذا استوفى ذلك القطر تلك الأمور الأربعة، فقد وجدت الخلافة بمبايعة ذلك القطر وحده، وانعقدت به وحده ولو كان لا يمثل أكثر أهل الحل والعقد لأكثر الأمة الإسلامية؛ لأن إقامة الخلافة فرض كفاية، والذي يقوم بذلك الفرض على وجه الصحيح يكون قام بالشيء المفروض؛ ولأن اشتراط أكثر أهل الحل والعقد إذا كانت هناك خلافة موجودة يراد إيجاد خليفة فيها مكان الخليفة المتوفى أو المعزول.

أما إذا لم تكن هناك خلافة مطلقاً، ويراد إيجاد خلافة، فإن مجرد وجودها على الوجه الشرعي تنعقد الخلافة بأي خليفة يستكمل شروط الانعقاد مهما كان عدد المبايعين الذين بايعوه؛ لأن المسألة تكون حينئذ مسألة قيام بفرض قصر المسلمون عن القيام به مدة تزيد على المدة الشرعية التي يمهل فيها المسلمون لإقامة خليفة، وهي ثلاثة أيام بليتين، فنقصيرهم هذا ترك لحقهم في اختيار من يريدون، فمن يقوم بالفرض يكفي لانعقاد الخلافة به، ومتى قامت الخلافة في ذلك

القطر، وَاِنْعَقَدَتْ لَخَلِيفَةٍ يُصْبِحُ فَرَضًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا الْاِنْضَوَاءُ تَحْتَ لَوَاءِ الْخِلَافَةِ، وَمُبَايَعَةُ الْخَلِيفَةِ بِيَعَةِ طَاعَةٍ، وَإِلَّا كَانُوا أَثْمِينَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَيَجِبُ عَلَى هَذَا الْخَلِيفَةِ مُحَارَبَتَهُمْ حَتَّى يَدْخُلُوا تَحْتَ طَاعَتِهِ، وَإِذَا بُوِيعَ لَخَلِيفَةٍ آخَرَ فِي الْقَطْرِ نَفْسِهِ أَوْ فِي قَطْرِ آخَرَ بَعْدَ بِيَعَةِ الْخَلِيفَةِ الْأَوَّلِ، وَانْعِقَادِ الْخِلَافَةِ لَهُ اِنْعِقَادًا شَرْعِيًّا مُسْتَوْفِيًّا الْأُمُورَ الْأَرْبَعَةَ السَّابِقَةَ الذِّكْرَ وَجِبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مُحَارَبَةُ الْخَلِيفَةِ الثَّانِي حَتَّى يُبَايِعَ الْخَلِيفَةَ الْأَوَّلَ لِمَا رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «... وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ، وَثَمْرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطْعَهُ إِنْ اسْتَطَاعَ فَإِنْ جَاءَ آخَرَ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ».

وَلَأَنَّ الَّذِي يَجْمَعُ الْمُسْلِمِينَ هُوَ خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ بِرَايَةِ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا وُجِدَ الْخَلِيفَةُ فَقَدْ وَجِدَتْ جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَيُصْبِحُ فَرَضًا الْاِنْضِمَامُ إِلَيْهِمْ، وَيَحْرَمُ الْخُرُوجُ عَنْهُمْ .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ إِلَّا مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً».

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلَّا مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً».

وَمَفْهُومُ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ لَزُومُ الْجَمَاعَةِ، وَلَزُومُ السُّلْطَانِ.

وَلَا حَقَّ فِي الْبِيَعَةِ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَجِبُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهَا بِيَعَةٌ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ تَقْتَضِي الْإِيمَانَ بِالْإِسْلَامِ، وَبِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا فِي الْحُكْمِ، وَلَا أَنْ يَنْتَخِبُوا الْحَاكِمَ؛ لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ؛ وَلِأَنَّهُ لَا مَحَلَّ لَهُمْ فِي الْبِيَعَةِ.

إِخْوَةُ الْإِيمَانِ:

هَذَا وَمَعَ قُرْبِ إِقَامَةِ دَوْلَةِ الْإِسْلَامِ الَّتِي بَدَأَتْ بِشَائِرِهَا تَلُوحُ بِالْأَفْقِ، وَالَّتِي وَعَدْنَا بِهَا رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا فِي الْآيَةِ الْخَامِسَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْ سُورَةِ النُّورِ. حَيْثُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

{ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
النور 55 }

كما بَشَّرْنَا بها رَسُولُنَا الكَرِيمُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ
الإمامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ، وَالَّذِي قَالَ فِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «...ثُمَّ تَكُونُ خِلافةً
عَلَى مِنْهاجِ النُّبُوَّةِ».

نَسألُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ تَكُونُ فِي أَيْمانِنَا، وَعَلَى أَيْدِينَا، وَأَنْ يَجْعَلَنَا
أَهلاً لَهَا، وَمِنْ جُنُودِهَا الأَوْفِياءِ الأَتَقِياءِ الأَنْقِياءِ المُخْلِصِينَ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا
بِنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ. إِنَّهُ سُبْحانَهُ وَتَعَالَى وَلِيُّ ذَلِكَ، وَالقادرُ عَلَيْهِ.

وختاماً كونوا معنا أيها الإخوة المستمعون في الحلقات القادمة مع سيرة
المصطفى صلى الله عليه وسلم وسيرة خُلفائِهِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، لِنَعِيشَ
وَإِيّاكُمْ أجواءَ البِيعَةِ، وإِقامَةَ الخِلافةِ، وَلِنَرَى وَنَسْمَعَ كيفَ كانتْ تُؤخَذُ البِيعَةُ
لِلخِليفةِ؛ لِيَكُونَ لَدِينَا نَمُودَجٌ رَائعٌ، وَمِثالٌ عَمَلِيٌّ جَاهِزٌ لِلتَطْبِيقِ، نَتَأَسَّى بِهِ
ساعةَ إعلانِ إِقامَةِ الدَّولَةِ.

وإلى أن نلتقي معكم في الحلقة القادمة إن شاء الله، نستودع الله دينكم وإيمانكم
وخواتيم أعمالكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.